

کتاب و مصنفات

(۲۸)

تفاسير القرن الرابع عشر الهجري

أوضح التفاسير
لابن الخطيب (ت: ١٤٠٢هـ)

طبعاته - مصادره - ملامحه - تصنيفه - الدراسات حوله





مَرْصِدُ تَفْسِيرِ الدَّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

Tafsir Observatory For Quranic Studies

مَرْكَزُ تَفْسِيرِ الدَّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ
Tafsir Center For Qur'anic Studies



إحدى
مبادرات

يُعَدّ كتاب (أوضح التفاسير) من المصنّفات التفسيرية في القرن الرابع عشر الهجري، وفي هذا التقرير سنعرّف بهذا التفسير، وسيأتي كلامنا مقسومًا على ثلاثة أقسام؛ يستعرض أحدها بعض المعلومات العامة المتعلقة بالكتاب من: بيان مؤلفه، واسم الكتاب، وطبعاته، وسبب تأليفه، ومصادره، ويعمل ثانيها على بيان بعض الملامح التفسيرية للكتاب وطبيعة التصنيف الذي ينتمي إليه في خارطة تصنيفات مؤلفات التفسير، ويستعرض ثالثها الدراسات حول الكتاب^(١).

القسم الأول: أوضح التفاسير؛ مؤلفه، اسم الكتاب وطبعاته وسبب تأليفه ومصادره:

- مؤلف الكتاب^(٢):

هو محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، ويُعرَف باسم (ابن الخطيب)، وُلِدَ في مصر بالقاهرة سنة ١٣١٨هـ = الموافق ١٩٠٠م، وعاش في مصر ولبنان والسعودية.

(١) أعدّ هذا التقرير لصالح المرصد: خليل محمود اليماني، محمود حمد السيد، محمد مصطفى عبد المجيد، عبد الرحمن المشد.

(٢) يراجع في ترجمته: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين (١٧ / ٧٢)، واعتمدوا فيه على لقاءات أجراها الباحث محمود خليل مع أسرة المترجم له بالقاهرة عام ٢٠٠٣م.

حفظ القرآن الكريم صغيراً، ثم التحق بمدرسة الحسين الابتدائية، فحصل على شهادتها، واكتفى بذلك وعكف على تثقيف نفسه، وعمل منذ صغره في مطبعة والده (المطبعة المصرية) التي تخصصت في طباعة القرآن الكريم، ثم توسّع في أعماله الطباعية والفنية.

كان ابن الخطيب عضواً في العديد من الجمعيات والنقابات، منها: نقابة الأشراف، وجماعة القرآن الكريم، وجماعة الإخوان المسلمين، والمجلس الصوفي الأعلى، وجماعة شعراء العروبة، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وحصل على شهادة تقدير من المجلس الصوفي الأعلى عام ١٩٦٥م، كما نال شهادة تقدير من شيخ الطرق الصوفية عام ١٩٧٥م.

من مؤلفاته: أوضح التفاسير، غريب القرآن، الفرقان في جمع وتدوين القرآن، هذا هو الحق، المرأة في شتى العصور من لدن آدم ﷺ حتى الآن ما لها وما عليها، وغيرها.

له عدد من المنظومات والقصائد الشعرية، منها: الإمام أبو عبد الله الحسين، وأسماء الله الحسنى، والجهاد طريق المؤمنين إلى النصر، وصورة الذات، ووحى من الوحي، ويوسف الصديق ﷺ، وغير ذلك.

تُوفي بالقاهرة سنة ١٤٠٢هـ = الموافق ١٩٨١م.



(ابن الخطيب)

- اسم الكتاب:

نصَّ المؤلف على تسمية كتابه بـ: (أوضح التفاسير)، حيث قال في مقدّمته للطبعة السادسة من الكتاب: «أما بعد، فهذا كتابي أوضح التفاسير في طبعته السادسة، وقد تناولته الأمة منذ طبعته الأولى بالرضا والقَبُول فضلاً من الله ونعمة...»^(١).

- سبب تأليف الكتاب:

صرّح المؤلف بسبب تأليفه للكتاب، فقال في مقدّمته للطبعة الأولى: «فقد كنتُ منذ حداثة سنِّي وَلَوْعًا بالكتابِ الكريم، شغوفًا بمطالعة ما كتبه أئمة المفسّرين، وما دَوّنه علماء المِلَّة والدين؛ وكنت دائماً أناقشُ مَنْ حضرنِي من

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، مقدمة الطبعة السادسة، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط٦، ١٣٨٣هـ=

أفاضل الأدباء وِجَلَّة العلماء، فيما كان يبدو لي مشوّهاً متناقضاً؛ وكثيراً ما وضح ترجيح رأيي، وتفضيل مذهبي.

فجرّأني هذا، وألجأني إلحاف مَنْ يُحسِنون الظنَّ بي؛ إلى الشروع في كتابة تفسير صغير للقرآن المجيد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فتردّدتُ بادئ ذي بدء، وخفتُ من الزلّ، وخشيتُ من الخطل، ولكنني راجعتُ نفسي قائلاً: إنّ الأمر بيد الله تعالى. وهو وحده القادر على أن يمدّني بنورٍ من عنده، ويكشف عن بصري وبصيرتي، وينقي سري وسريري، فاستعنته تعالى، وابتدأتُ التّأليف؛ بعد أن تصفّحتُ أغلب كتب التفسير وأمّهاها. ولا أكتّم القول أنّ جُلّها -إن لم يكن كلّها- قد يُجمّع على ضلالة. وأنها لا تخلو من حشو اليهود وإفك الأفّاكين؛ إلى غير ذلك من الأحاديث الكاذبة، والأقاويل الباطلة.

ورُبّ قائلٍ يقول: ومَنْ أنتَ حتّى تنتقدَ أقوال المفسرين وتُسفّه آراءهم؟! ... وجوابي على هذا: إنّني من بحرهم استقيتُ، ومن معيّنهم ارتويتُ؛ إلا بعض الهناتِ...^(١).

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، مقدمة الطبعة الأولى.

ويقول أيضًا في تقديمه للطبعة السادسة: «وطالما خالفتُ الكثير من أقوال المفسّرين؛ معتمدًا - في هذه المخالفة - على لبّ القرآن وحكمة نزوله، وقدّر منزله! وكثيرًا ما طعنتُ طعنًا مريّرًا فيما استندوا إليه من منقول لا يبلغ حدّ إلغاء العقول! ومن مقول لا يبلغ حدّ المعقول! وقلتُ في نفسي: أليس من حقّي - وأنا من عِداد المؤمنين المكلفين - أن أقرع الحُجّة الواهنة بالحُجّة البيّنة، وأن أدفع الرأي الفاسد بالرأي السديد؛ أم أسلّم مع المُسلّمين، وأقول مع القائلين: لم يترك الأوّل شيئًا للآخرين... لقد قالوا ما قالوا، وأوردوا ما أوردوا - بحُسن نيّة، وصدق طويّة - وهم خيرة الخلاء المؤمنين! لكن الإثم كلّ الإثم: أن نرى المنكر ولا نُغيّره، ونتلو الباطل ولا نمحوه...»^(١).

ويظهر من الكلام السالف للمؤلّف أنّ دافعه لكتابة تفسيره هو وقوفه على ما يحتاج إلى تحرير ونقد وتصحيح في كلام المفسّرين على معاني القرآن، وكذلك تلبية دعوة بعض ممّن ألحوا على المؤلّف في كتابة تفسيرٍ صغيرٍ للقرآن الكريم.

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، مقدّمة الطبعة السادسة. ويظهر أثر ما يقوله المؤلّف من مخالفته لجُلّ التفاسير، يظهر خاصّة في المواطن التفسيرية التي فسّرها المفسّرون في ضوء توظيف المرويات الإسرائيلية، حيث يعترض المؤلّف بشدة على تلك التفسيرات ويشتدّ في النكير، وسيأتي معنا مواضع لذلك من كلامه.

- المصادر التفسيرية للكتاب:

لم ينصّ المؤلّف في مقدّمته على مصادره التفسيرية التي اعتمد عليها في كتابه، وبَيّن فقط أنه تصفّح أمّهات التفاسير وذكر خلاصة أقوال المفسّرين.

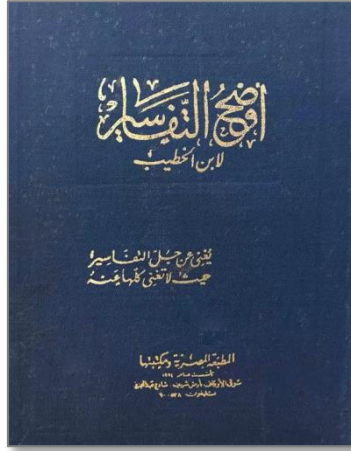
يقول المؤلّف: «... فاستعنته تعالى، وابتدأتُ التّأليف؛ بعد أن تصفّحتُ أغلب كتب التفسير وأمّهاتها... وربّ قائل يقول: ومن أنت حتى تتقدّ أقوال المفسّرين وتُسفّه آراءهم؟! وهل أنت أجلّ من ابن جرير الطبري وأنبع من ابن كثير والإمام الرازي والزمخشري؟! وجوابي على هذا: إنني من بحرهم استقيتُ، ومن معيّنهم ارتويتُ إلا بعض الهناتِ، وسبحان من تنزل عن السيئات. وقد أخذتُ خلاصة آرائهم وزبدة أقوالهم، وطرحتُ ما لا يتفق والدّين... إلخ»^(١). والمؤلّف يُورد ما يُورده في الكتاب دون عزو لمصادر وإحالة على مراجع بعينها.

- طباعات الكتاب:

طُبِعَ هذا الكتاب في القاهرة عام (١٣٥٦هـ = ١٩٣٨م)، وأعيدت طباعته عدّة مرات على هامش المصحف بأعداد صفحاتٍ مختلفة، وحظيت طبعته السادسة ببعض التعديلات والزيادات، وقُدّم لهذه الطبعة عددٌ من العلماء،

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، مقدمة الطبعة الأولى.

وهم: الشيخ/ يوسف الدجوي، والشيخ/ عبد المجيد اللبان، والشيخ/
عبد الوهاب خلاف، والشيخ/ محمد توفيق رفعت (باشا)، والشيخ/ محمد
عليّ خلف الحسيني، والأستاذ/ محمد أبو بكر إبراهيم، والأستاذ/ محمد
أحمد جاد المولى (بك)، والأستاذ/ محمد عطية الأبراشي.



(الطبعة المذكورة لكتاب أوضح التفاسير)

أوضح التفاسير؛ نظرة في ملامح الممارسة التفسيرية؛

كثيرة هذه الملامح التي يمكن تسليط الضوء عليها في مصنّف تفسيري كمصنّف (أوضح التفاسير)، غير أنّ كلامنا سيكون مآطورًا بالتركيز على تقديم بعض الإضاءات حول موقف هذا التفسير من المعنى التفسيري^(١)، وأبرزها ما يأتي:

- الاختصار على إيراد المعاني دون توسّع؛

الناظر في تفسير (أوضح التفاسير) في ضوء موقفه من المعنى يجده يدور على إيراد المعاني دون توسّع؛ ففضلاً عن مجيء التفسير على هامش

(١) تتنوع مضامين التفسير في كتب التفسير بصورة كبيرة، ويمثّل المعنى التفسيري مركزية لا تخفى في هذه المضامين؛ فلا يمكن الخطو لاستنباط حُكم أو نكتة بيانية أو غير ذلك مما يكثر في التفاسير بدون تقرير المعنى أولاً؛ ومن ثم فإنّ سرد الملامح العامة المتعلقة بموقف كتب التفسير من المعنى التفسيري وكيفية تعاملها معه يفتح الباب واسعاً لتأمل طبيعة المشاغل العلمية للتفاسير بصورة ظاهرة، وبناء خارطة التوجهات العلمية للتفاسير وتصنيفها بصورة صحيحة. وللتوسّع في الاطلاع على هذه الفكرة يمكن مراجعة بحث: تصنيف التفاسير؛ قراءة في التصنيفات المعاصرة مع طرح معيار منهجي لتصنيف التفاسير، للباحث/ خليل محمود اليماني، وهو منشور على موقع مركز تفسير تحت الرابط <https://tafsir.net/research/53> الآتي:

ويحسن التنبيه على أن الأمثلة التي نُوردها من كلام المفسّر ليس الغرض تحريرها في ذاتها، أو بيان صحة مضمونها من عدمه؛ وإنما التدليل بها على النقاط التي نُوردها في الملامح التفسيرية للكتاب.

المصحف، وذكر المؤلف بأنّ ممّا دعاه لكتابة تفسيره تلبية دعوة مَنْ طلبَ منه إعداد تفسير مختصر، فإنّ المؤلف اقتصر عملياً على بيان معاني الآي بصورة مباشرة دون إيراد للأحكام واللطائف والهدايات الإيمانية... إلخ مما هو فوق المعنى، وقد التزم ذلك على طول الكتاب، وفيما يأتي بعض النماذج العملية من الكتاب ليتّضح الأمر:

- يقول المؤلف في تفسير سورة الفاتحة: ﴿رَبِّ﴾ مالك وسيّد. يقال: (رَبُّ) الدار؛ أي: مالكها، و(رَبُّ) الغلام؛ أي: مالكه. قال تعالى: ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾؛ أي: إلى سيدك. ولا يقال لمخلوق: هذا الربّ: معرّفًا بالألف واللام. فإنّ هذا لا يجوز إلاّ الله تعالى وحده. وإنما يقال: (رَبُّ) المنزل، و(رَبُّ) القرية؛ فيُعرّف بالإضافة أنّه من الأرباب المخلوقين؛ فتعالى ربُّ الأرباب ربّ العالمين. ﴿الْعَالَمِينَ﴾ جمع العالم. والعالم: الخلق كلّ. والمراد: ربّ سائر المخلوقات؛ مِنْ مَلِكٍ وَإِنْسٍ وَجِنٍّ، ووحشٍ وطيّرٍ وغيره، وبالجملة فهو ما سوى الله تعالى من أحياء وجماد، ويتناول أيضًا سائر العوالم الكائنة بشتى الكواكب المتناثرة في ملكوت الله تعالى. فتعالى الله ربّ العالمين! ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ مالك يوم الجزاء - وهو يوم القيامة - فلا شفيع إلاّ بإذنه، ولا عقاب إلاّ بأمره، ولا ثواب إلاّ بفضلّه. ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي طريق الذين أنعمت عليهم بالهداية والاصطفاء كالنبيّين، والصّديقين، وخوَصّ المؤمنين، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وهم العصاة؛ الذين جعلوا إلّهم هواهم، واشتروا

دنياهم بأخراهم، ولم يبالوا بغضب مولاهم؛ فارتكبوا الذنوب وهم بها عالمون، ولعاقبتها مقدرون. وقيل: هم اليهود. ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وهم الذين يرتكبون الذنوب حال كونهم غير عالمين بجرمها، ولا بمبلغ إثمها. وقيل: هم النصارى. ولا يخفى أنّ اليهود مغضوب عليهم وضالّون، وأنّ النصارى ضالّون ومغضوب عليهم^(١).

- ويقول في تفسير الآيات الست الأولى من سورة آل عمران: ﴿الْم﴾ (انظر آية ١ من سورة البقرة) ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾؛ القائم بتدبير الخلق وحفظه. عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- أنه الاسم الأعظم. ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ القرآن، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ما قبله من الكتب: كالتوراة والإنجيل، ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ﴾ على موسى، ﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾ على عيسى. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل مجيء إمام الرّسل عليه الصلاة والسلام، ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ القرآن الكريم؛ ويطلق (الفرقان) على سائر الكتب المنزلة؛ لأنها تفرّق بين الحقّ والباطل. ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا، يَضًا وَسُودًا، حَسَنًا وَقَبِيحًا^(٢).

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ١.

(٢) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٥٩.

- ويقول في تفسير سورة الانشقاق: «**إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ**»: تصدّعت وتقطّعت يوم القيامة، **«وَأُذِنَتْ لِرَبِّهَا»** سمعت له وأطاعت؛ حين أراد انشقاقها، **«وَحُقَّتْ»** أي: وحق لها أن تمتثل لأمر خالقها؛ إذ هو مدبرها ومالكها، **«وَأِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ»** بسطت وسوّيت باندكاك جبالها؛ **«لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا»** [طه: ١٠٧]. **«وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا»** أي: ورمت ما في جوفها في الأموات، والأموال، والكنوز. **«وَتَخَلَّتْ»** عن حفظه في بطنها، **«وَأُذِنَتْ لِرَبِّهَا»** سمعت له وأطاعت. **«يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ»** أي: إنك جاهد ومجدد بأعمالك التي عاقبتها الموت حتمًا؛ فتساق بعملك هذا إلى ربك فتلاقيه، فيكافئك عليه؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر. **«وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ»** [النور: ٣٩]، **«فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ»** وهو المؤمن، **«فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا»** سهلًا لينا: يُجازى على حسناته، ويُتجاوز عن سيئاته...»^(١).

وظاهر ممّا مرّ دوران كتاب (أوضح التفاسير) على إيراد المعنى دون توسّع، وهذه طريقته في كلّ التفسير.

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٧٤٠.

ويلاحظ أن المؤلف قد يتوسّع في مواضع عن حدّ المعنى، كأن يُبين حكمة معيّنة، أو يشير لفائدة وتوجيه، أو يردّ على شبهة، وغير ذلك مما هو فوق المعنى؛ ومن ذلك:

- قوله في تفسير قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦]: «وقد أجاب الله دعوة إبراهيم عليه السلام، فحُمِلَت الثمار من سائر الأقطار إلى الحرم قبل أن يتذوّقها زارعوها وحاملوها، وقد تجد بين أيديهم فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، وقد رأيت بعيني رأسي أَرْقَى ثمار العالم تُحْمَلُ إليه بالطائرات عبر البحار والمحيطات، فعجبت - حيث لا عجب - لماذا يُحْمَلُ كلّ ذلك لهذه البلدة الخاوية إلا من الدّين، الخالية إلا من المؤمنين؟ فتذكرت دعوة إبراهيم، فتبارك السميع العليم»^(١).

- يقول في تفسير الآيتين (٣١ - ٣٢) من سورة الزخرف: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، يعنون بالقريتين: مكة والطائف، وبالعظيم: الذي يكون له مألّ ومنصبّ وجاه. وقد فاتهم أن العظيم: هو الذي يكون عند الله تعالى عظيماً؛ أمّا المال والجاه

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٢٣.

والمنصب فهي عظمةٌ يبتغيها الجاهلون، ويقدرها الفاسقون! ومقياس العظمة الحقيقة عند الله تعالى، وعند العقلاء: (عظمة النفس، وسمو الروح، وعلو الهمة)! وَمَنْ أَعْظَمُ نَفْسًا، وَأَسْمَى رُوحًا، وَأَعْلَى هِمَّةً؛ مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، خَاتَمِ رَسْلِ اللَّهِ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ! ... ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢]، لَا كَمَا تُنَادِي بَعْضُ الْمُبَادِئِ الْهَدَامَةِ؛ بِمَا يَبْثُونه مِنْ سُمُومِ فِكْرِيَّةٍ، وَمَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ مِنْ نُظْمٍ، فِي ظَاهِرِهَا الْبِرِّ وَالْخَيْرِ، وَفِي بَاطِنِهَا الْإِثْمِ وَالشَّرِّ؛ كَالنَّظَامِ الشِّيْعِيِّ وَالنُّظْمِ الْأُخْرَى الَّتِي تَسْتَوِرُهَا بَعْضُ الْأُمَمِ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي لَا تَدِينُ بِالْإِسْلَامِ، بَلْ وَلَا تَدِينُ بِأَيِّ دِينٍ سَمَاوِيِّ؛ بَلْ تَقُولُ بِالتَّعْطِيلِ، وَأَنْ لَا إِلَهَ فِي الْكَوْنِ أَصْلًا! وَالَّذِينَ الْإِسْلَامِي - فِي مَظْهَرِهِ وَجُوهَرِهِ - لَيْسَ فِي حَاجَةٍ إِلَى نِظَامٍ أَوْ مُنْظَمِينَ؛ فَقَدْ نَظَّمَهُ خَالِقُ الْكَوْنِ وَمُدَبِّرُهُ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْعَالَمِ بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ وَيَكْفُلُ إِسْعَادَهُمْ. وَهُوَ جَلَّ شَأْنُهُ بِامْتِحَانِهِ لَهُمْ بِضُرُوبٍ مِنَ الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَالسَّعَةِ وَالضُّيْقِ؛ إِنَّمَا يُؤَهِّلُهُمْ بِهَذَا الْإِخْتِبَارِ إِلَى حَيَاةٍ أُخْرَى دَائِمَةٍ السَّعَادَةِ وَالْخَيْرِ لِمَنْ أَحْسَنَ، وَالشَّقَاءِ وَالْبُؤْسِ لِمَنْ أَسَاءَ!...^(١).

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٦٠١ - ٦٠٢. وقد توسّع المؤلّف كثيرًا بعد ذلك في بيان غلط الشيوعية وبعض الأفكار الخاصّة بها وبيان هدي الإسلام إزاء حقوق الفقراء، وغير ذلك.

- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، قال: «والنفّسُ في المجالس من أكرم الخلال الإسلامية والخلق الإنسانية! فيجب على كلّ مؤمن أن يفسح لأخيه الذي يريد الجلوس، أو الصلاة؛ ولو لم يقل بلسانه، ﴿وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا﴾ أي: إذا قيل: انهضوا وانصرفوا؛ فانصرفوا، ولا يَتَتَبَرَّنَ أحدكم أن يقال له ذلك في مجلس من المجالس؛ بل عليه أن يراعي حالة الجالسين إليه، وأنسهم به؛ فإذا افتقد رعايتهم له، واهتمامهم بأمره؛ انصرف مشكورا مأجورا، قبل أن تمجّه الأسماع، وتعافه الأبصار! وهذا هو الأدبُ الربّاني، والخلقُ القرآني؛ فاستمسك به أيّها المؤمن، تعش سالما من البُغض، آمنا من الحقد! وقيل: كان ذلك في مجالس رسول الله ﷺ خاصّة، والأوّلَى أنها عامّة، ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ وعملوا بطاعة الله تعالى، وأمر رسولُه عليه الصلاة والسلام...»^(١).

- في تفسيره للآية الثامنة من سورة التكوين، قال المؤلّف: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾: وهي التي دُفِنَتْ حيّة. وقد كانت العرب تَدُ البُناات خشية العار

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٦٧٣.

والإملاق. رُوي أنَّ عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- بينما كان يجلس مع بعض الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- إذ ضحك قليلاً، ثم بكى؛ فسأله مَنْ حضر عن سبب ضحكه، وسرَّ بكائه، فقال: لقد كنَّا في الجاهلية نعبد الصنم من العجوة؛ فنعبده أياماً ثم نأكله؛ وهذا أضحكني، أمَّا بكائي فلأنه كانت لي ابنة؛ فاردتُ وأدَّها -كشأننا في تلكم الأيام- فأخذتها معي وحفرتُ لها حفرة، فصارت تنفض لحيتي كلما تراكم عليها التراب، فلم يشفع لها ذلك دون وأدَّها؛ وقد دفتُّها حيَّة؛ وهذا ما أبكاني! هذا هو عمر -قبل الإسلام- فانظر إلى عمر بعد الإسلام، وكيف خطَّت الدموع في وجنتيه خطَّين؛ لمزيد رِقَّة، وشدة بكائه، وكيف أنه حمل إلى أمِّ الصَّبِيَّة -التي كانت تعلِّل أبناءها الجياع بالماء والحصى في القِدر ليناموا- الدقيق والسَّمَنَ وجعل ينفخ في النار، ولحيته على الأرض في التراب حتى طاب الطعام، وأقبل على الصَّبِيَّة يطعمهم، وهو يبكي ويقول: ويل عمر! ليت أمَّ عمر لم تلِد عمر! هذا، ولم ينقل عمر من درك الوحشية إلى سماء الإنسانية؛ سوى دين الإسلام -الذي سرى في روحه، وأُشرب به في قلبه- دين النور والرأفة والرحمة، دين السماحة والحضارة!«^(١).

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٦٣٥.

غير أن هذه التوسّعات في تفسيره قليلة جدًّا، ومن ثم فحضورها لا يُخْرِجُ الكتابَ عن الغرض الذي ذكرنا من دورانه على المعنى دون توسّع.

وبخصوص معالجة المؤلف للمعنى تجدر الإشارة لما يأتي:

أولًا: يلتزم تفسير أوضح التفاسير معنىً واحدًا في جُلِّ تفسيره، ويعرضه بأسلوبه: فالكتاب يورد معنىً محدّدًا يفسّر عليه الآي ويعرض هذا المعنى بأسلوبه، وهذا ظاهر من الأمثلة السابقة، وقد التزم هذا على طول التفسير، ولكن أحيانًا يذكر أكثر من قول، ومن ذلك:

- قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [البقرة: ٢٧]: «والمراد بناقضي العهد: المنافقين، أو الكفار جميعًا، أو هم أحبار اليهود؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]»^(١).

- قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفٰكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]: «﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من كلّ سوء، وقيل: من مسّ الرجال. ﴿وَأَصْطَفٰكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ قيل: على سائر النساء؛ من بدء الخليقة حتى

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٧.

قيام الساعة. وقيل: عالمي زمانها فحَسْب، وأنها **عَالَمِيَّةٌ** لا تفضل فاطمة بنت محمد عليه الصلاة والسلام، ولا خديجة بنت خويلد؛ واستدلوا بقوله تعالى: **﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾** [البقرة: ٤٧]، ولم يقل أحد: إن بني إسرائيل أفضل من أمة خير الأنام؛ بل أن تفضيلهم كان على عالمي زمانهم، أو من تقدّمهم من الأمم^(١).

- قوله في المراد بقوله تعالى: **﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾** [طه: ١٤]: «أي: لتذكرني فيها، أو لأذكرك في عليين إذا أقمتها، أو إذا نسيتهَا وتذكرت فصلًا؛ قال سيد الخلق عليه الصلاة والسلام: (مَن نَامَ عن صلاةٍ أو نسيها؛ فليصلها إذا ذكرها؛ فإن الله - عز وجل - يقول: **﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾**»^(٢).

- قوله في المراد بـ(الأميين) في قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾** [الجمعة: ٢]: «الذين لا يقرؤون؛ لأن أمة العرب كانوا لا يقرؤون ولا يكتبون من بين سائر الأمم. وقيل: (الأميين) نسبةً إلى أم القرى مكة، زادها الله تعالى شرفًا»^(٣).

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٦٤.

(٢) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٣٧٦.

(٣) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٦٨٥.

ثانيًا: لا يلتزم الترجيح بين الأقوال إذا حكى الخلاف، وفي أحيان قليلة يبيّن الراجح عنده من الأقوال، وقد يذكر مسوّغات الترجيح، وفي مواضع قليلة يحكي بعض الأقوال ويبيدي توقّفه إزاء المراد^(١)، وبصورة نادرة يشير لاحتمالات جديدة، ومن ذلك:

- في تفسيره للآية الأولى من سورة البقرة، قال المؤلّف: ﴿الْم﴾ قيل: إنّ المعنى: ألف، لام، ميم. ﴿ذَلِكَ أَلِكْتَبُ﴾ أي: إنّ هذا الكلام البليغ المعجز، مكوّن من جنس الأحرف التي يتكوّن منها كلامكم؛ وهي الألف، واللام، والميم؛ وهكذا. وقيل: إنّ ﴿الْم﴾ اسم للسورة، وهكذا سائر أوائل السور المكوّنة من الأحرف. وقيل: غير ذلك. وجميع ما ذكر في هذا الصدد لا يرتاح إليه الضمير؛ والله تعالى أعلم بما يريد...»^(٢).

- في تفسيره للآية الثانية من سورة الحشر، قال المؤلّف: ﴿مِنْ أَهْلِ أَلِكْتَبُ﴾ اليهود، ﴿مِنْ دَيْرِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ هم بنو النضير؛ أخرجهم

(١) وقد أشار لهذا في مقدمته للطبعة الأولى من الكتاب، حيث قال: «وقد أغفلتُ بضع مواطن لم أوفّق لحلّها، ولم أهد لتأويلها، ولم أجد فيما قاله فيها المتقدّمون والمتأخرون ما يرتاح إليه الضمير، وينشرح له الصدر؛ فتركته راغمًا لا راضيًا، وهذا نهاية عزمي، وقصارى جهدي».

(٢) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٣.

المسلمون من ديارهم حينما نقضوا عهدهم، وكان ذلك أوّل حشرهم إلى الشام. وقيل: إنّ آخر حشرهم إجلاء عمر - رضي الله تعالى عنه - لهم. أو هو حشر يوم القيام. هذا، وقد يكون الحشر الثاني هو خروجهم من فلسطين - بعون الله تعالى وقدرته - بعد أن تملّكوها، وشتّتوا أهلها في البراري والقفار، وسفكوا دماءهم، وقتلوا أطفالهم وفضحوا نساءهم! ^(١).

- قوله في المراد بالسبع المثاني: «وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي» [الحجر: ٨٧]، وهي - على القول الراجح - الفاتحة؛ لأنها سبع آيات، ولأنّها تُتلى في كلّ ركعة من الصلاة. وقيل: هي السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء،

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٦٧٥. قال ابن الجوزي في بيانه للأقوال في هذه الآية: «قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: يهود بني النضير، ﴿مِّنْ دِيَارِهِمْ﴾ أي: من منازلهم، ﴿لأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ فيه أربعة أقوال؛ أحدها: أنهم أوّل من حُشر وأُخرج من داره، قاله ابن عباس. وقال ابن السائب: هم أوّل من نُفي من أهل الكتاب. والثاني: أن هذا كان أوّل حشرهم، والحشر الثاني إلى أرض المحشر يوم القيامة، قاله الحسن. قال عكرمة: من شك أن المحشر إلى الشام فليقرأ هذه الآية، وأنّ النبي ﷺ قال لهم يومئذ: اخرجوا، فقالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر. والثالث: أن هذا كان أوّل حشرهم، وأن الحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، قاله قتادة. والرابع: هذا كان أوّل حشرهم من المدينة، والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام في أيام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، قاله مرّة الهمداني. زاد المسير، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، ط: الرابعة، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م، (٨/ ٢٠٤ - ٢٠٥).

والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال والتوبة معاً؛ وذلك لأنه قد ثُنِيَ فيها الأمثال، والخبر، والعبر، والفرائض، والحدود، والقضاء، والقصص»^(١).

- قوله في المراد بـ(النذير) في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]: «محمدٌ عليه الصلاة والسلام. وقيل (النذير) الشَّيْب، أو موت الأهل والأحباب. والأول أحق بالصواب وأجدر»^(٢).

- قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانِ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢]: «يحتمل أن يكون هناك مَلَكَانِ حقيقة؛ أنزلهما الله تعالى لتعليم الناس السِّحْر؛ لإظهار الفرق بين السِّحْر والمعجزة، وليروا أنَّ مُلْكَ سليمان وما فيه من خوارق وعظمة وسلطان، لم يكن قائماً على سِحْرٍ وتخيلات... وقد ذهب بعضهم إلى أنَّ (مَا) نافية في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾، وقوله جَلَّ شأنه: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾؛ أي: لم ينزل على المَلَكَيْنِ شيء من السِّحْر، ولم يُعَلِّمَاهُ أَحَدًا... و(بابل) قرية بالعراق. ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ اسمان للمَلَكَيْنِ المزعومين؛ كما

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٣١٨.

(٢) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٥٣٣.

أسمتهما اليهود. وقيل: إنهما رجلان تعلّماه من الشياطين، وجعلا يُعَلِّمَانِه للناس. وقيل: إنهما قبيلتان من قبائل الجن...^(١)، وبعد أن تابع في عرض الأقوال والتعليق على الآية، قال: «أما ما ذهب إليه أكثر المفسرين من أن هاروت وماروت ملكان؛ عصيا الله تعالى وزنيا، وقتلا النفس، وشربا الخمر؛ فعذبهما الله تعالى بأن علّقهما من شعورهما في بئر بابل؛ فجعلا يُعَلِّمَان الناس السحر. إلى آخر ما أوردوه من أقاصيص من وضع الدسّاسين والزنادقة واليهود؛ وهو كلام لا يجوز نسبته بحال إلى الملائكة الكرام -عليهم الصلاة والسلام- الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾^(٢) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠]، وقال جلّ شأنه واصفا طاعتهم: ﴿لَا يَعُصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]^(٢).

- في تفسيره للآيات (٢١ - ٢٤) من سورة (ص)، قال المؤلّف: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ﴾ يا محمد، ﴿نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ أي: تسلّقوا حائطه. و(المحراب) المسجد، أو الغرفة. ﴿وَلَا تُشْطِطُ﴾ أي: ولا تتجاوز الحدّ، ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ إلى الطريق السويّ القويم. ﴿أَكْفَلْنِيهَا﴾ أي: ملكنيها؛ لأنّها كفلي ومن نصيبي، ﴿وَعَزَّنِي﴾ غلبني. ﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ١٩.

(٢) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ١٩ - ٢٠.

الشركاء الذين اختلط مألهم، ﴿لَيَبْغِي﴾ ليجُور، ﴿بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ في المعاملات. هذا، وقد ذهب أكثر المفسرين - في قصة داود ﷺ - إلى أقاصيص من وضع اليهود والزنادة، وزعموا أنه ﷺ رأى زوجة أوريا عريانة - وهو أحد قواده - فتعلق بها، وأراد أن يتزوجها، فأرسل زوجها إلى القتال - على رأس جيش ليقتل فيتزوجها - فانتصر أوريا، وعاد سالمًا، فأرسله ثانيًا وثالثًا؛ إلى أن قُتل، فتزوج داود ﷺ زوجته التي رآها عريانة وأحبها من قبل؛ فأرسل الله تعالى ملكين على صورة خصمين، فاحتكما إليه في خصومة وهمية، كما وردت في سياق القرآن الكريم. وهذه القصة فضلًا عن أنها تُكفر واضعها، فإنها أيضًا تُكفر معتقدها ومصدقها؛ إذ إنه لا يصح نسبة ذلك لعامة المسلمين وجهلة الفساق، فما بالك بخواص الأنبياء! ولا يجوز بحال صرف هذه القصة عن ظاهره؛ فليتدبر ذلك من له عقل سليم، ودين قويم! وإنما أوردت هذه القصة وأمثالها للتحذير منها، والتنبيه على بطلانها... ﴿وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّهَا فَتَنَةٌ﴾ اختبرناه بتلك الزلة. وزلته: أنه حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر؛ بقوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ وهي زلة عظيمة بالنسبة لعموم القضاة؛ فما بالك بنبي الله داود ﷺ!...»^(١).

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٥٥٤ - ٥٥٥.

ثالثاً: لا ينسب المؤلف عادةً ما ينقله من التفسير إلى قائله، وهذا واضح فيما نقلناه من تفسيره، وإن كان في مواطن نادرة ينسب ما ينقله إلى قائله، ومن ذلك:

- قوله: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ٢٢١]، أي: لا تزوجوهم بناتكم ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾. وقد ذهب جماعة -منهم حبر الأمة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما- إلى أنّ لفظ المشركات والمشركين يعمّ اليهود والنصارى...»^(١).
- في قوله تعالى: ﴿وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، قال: «...وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: وَلِذِكْرِ اللَّهِ إِيَّاكُمْ بِرَحْمَتِهِ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ بِطَاعَتِهِ»^(٢).

رابعاً: لا يهتم المؤلف ببيان الآيات بصورة كاملة؛ فكثيراً ما يكتفي ببيان بعض الكلمات أو المقاطع داخل الآية دون تفسير الآية بكاملها، وحتى نبين ذلك نسوق تفسيره لبعض المقاطع:

- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٤١.

(٢) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٤٨٧.

مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا
بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿التوبة: ٢٨-
٢٩﴾، قال المؤلف: «﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾؛ لخبث باطنهم، وقذارة
ظاهرهم؛ ولأنهم لا يغتسلون، ولا يتطهرون، ولا يتجنبون النجاسات؛ فهي
دائمًا ملابسة لهم. ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً﴾ فقرًا. ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ سُمِّيت
جزية؛ لأنها جزاء على الكفر. ﴿عَنْ يَدٍ﴾ أي: نقدًا مقبوضة غير نسيئة، ﴿وَهُمْ
صَاغِرُونَ﴾ أي: تؤخذ منهم الجزية على الصغار؛ وهو الذَّلُّ والهوان»^(١).

- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿حَمَّ ١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا
عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ٤﴾ أَفَنَضْرِبُ
عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي
الْأَوَّلِينَ ٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ
بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ٨﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ
فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠﴾ [الزخرف: ١- ١٠]، قال المؤلف: «﴿حَمَّ﴾ (انظر

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٢٢٦.

آية ١ من سورة البقرة)، ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ الواضح. ﴿فِي أَمِّ الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ، ﴿لَدَيْنَا﴾ عندنا، ﴿لَعَلِّي﴾ على سائر الكتاب، ﴿حَكِيمٌ﴾ مُحْكَمٌ؛ ذو حِكْمَةٍ بالغَةٍ. ﴿أَفَنْضِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ أي: أَفَنُضِيبُ عَنْكُمْ نزول القرآن إمساكًا؛ لأنكم قوم مسرفون في الكفر وارتكاب المعاصي. ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سلف في القرآن ذكُرُ الأمم السابقة، وما حلَّ بها من التعذيب والتنكيل؛ جزاء كفرهم وتكذيبهم. ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشًا؛ كالمهد الذي هو فراش الصبي...»^(١).

- في كلامه على قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٦-١٩]، قال المؤلف: «﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ﴾ مُوسَوِّسًا إليه: ﴿اكْفُرْ فَلَمَّا﴾ أطاعه و﴿كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾، فكَذَلِكَ المنافقون. قالوا لليهود: ﴿لَئِنْ أَخْرَجْتُم لِتُخْرِجَنَّا مَعَكُمْ... وَإِنْ قُوتِلْتُمْ

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٥٩٨-٥٩٩.

لَتَنْصُرَنَّكُمْ [الحشر: ١١]، فلما جدّ الجدّ تخلّوا عنهم وأسلموهم للتهلكة، وصدق فيهم قول الحكيم: **﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾** [المنافقون: ١]. **﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا﴾** أي: عاقبة الشيطان ومن أطاعه، والامر بالكفر والفاعل له، والمنافقين واليهود. **﴿وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾** أي: ما قدّمت من الأعمال الصالحة - في دنياها - ليوم القيامة. **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾** تَرَكُوا ذِكْرَهُ وتذكّره، وخشيته ومراقبته، **﴿فَأَنسَلَهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾** أنسأهم الإيمان والعمل الصالح الذي ينفعهم في معادهم، أو أراهم يوم القيامة من الأحوال ما أنسأهم أنفسهم^(١).

أوضح التفاسير؛ نمط الاشتغال التفسيري؛

تتنوع أنماط الاشتغال التفسيري فيما يتصل بمسألة المعنى التفسيري وكيفيات التعاطي معه، فهناك مفسّر غير مشغّل بالمعنى، وآخر مشغّل بالمعنى، وهناك مفسّر مشغّل بالمعنى فقط دون غيره، وآخر مشغّل به مع الزيادة عليه، وهناك مفسّر مُتَّبِعٌ للمعنى وآخر ناقل للمعنى، وهناك مفسّر جامع للمعاني، وآخر موازن بينها، وغير ذلك^(٢).

(١) أوضح التفاسير، ابن الخطيب، ص ٦٧٨.

(٢) يراجع: بحث: تصنيف التفاسير؛ قراءة في التصنيفات المعاصرة مع طرح معيار منهجي لتصنيف التفاسير، خليل محمود اليماني، ص ٧٠ وما بعدها. بناء الرُتَب العلمية للمفسّرين في التفسير؛ الأهمية

فمن حيث الاشتغال بالمعنى من عدمه، فتفسير أوضح التفاسير يُعدُّ من التفاسير **المشغلة بالمعنى**، ومن حيث الاختصار على المعنى أو الخروج عنه فهذا التفسير من التفاسير التي اقتصرت على المعنى؛ فهو يبيّن المعنى دون خروج عن هذا الغرض، اللهم إلا في مواضع قليلة جدًا يتوسّع فيها عن المعنى، لكن ذلك بصورة قليلة لا تؤثر على دوران الكتاب حول المعنى كما ذكرنا قبل.

ومن حيث نقل المعنى أو إنتاجه فيعدُّ من التفاسير **الناقلة للمعنى**؛ فهو ينقل المعنى الحاضر قبله في كتب التفسير.

وأما من حيث طبيعة اشتغال تفسير أوضح التفاسير على المعنى، فيمكن عدّ هذا التفسير ضمن التفاسير **المختصرة للمعنى**؛ فهو يقتصر على معنى واحد يراه الأولي، ومن ثم يفسّر عليه الآي بصورة مباشرة، كما أنه يعرض للمعاني بعبارات موجزة، دون عناية بتقريرها وتأصيلها وبيان دلائلها، وهو صنيع المختصرين كما هو بيّن.

=

والآفاق، مع طرح تصوّر تأسيسي للسّير في دراسة الرّتب العلمية للمفسّرين، خليل محمود اليماني، بحث منشور على موقع تفسير تحت الرابط الآتي: <https://tafsir.net/research/77>، ص ٤٥ وما بعدها.

ويلاحظ أنّ الكتاب علاوة على ذلك له جهد - وإن كان بصورة قليلة جدًّا - في الموازنة بين المعاني وتحرير أُولَها بالصواب من وجهة نظره، وكذلك ينزع في مواضع نادرة لطرح احتمالات تفسيرية جديدة خاصّة به، وضبط مثل هذا عنده وتحديد مقداره مما يحتاج لدرس خاصّ.

القسم الثالث: أوضح التفاسير؛ أهم الدراسات حوله:

وقفنا على دراسة واحدة حول كتاب (أوضح التفاسير)^(١)، وهي بعنوان: (منهج ابن الخطيب في تفسيره أوضح التفاسير)، للباحث: محمود زيدان خضير العيثاوي، (مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة، العراق، ع ٤١، ٢٠٢٢م، ص ٣٠٥ - ٣٣٥).

(١) اقتصرنا في البحث في الجهود العلمية حول (أوضح التفاسير) على الأعمال المطبوعة والمنشورة والرسائل الأكاديمية المنجزة، دون الرسائل غير المنجزة أو الوسائط، كما اقتصرنا على الأعمال التي لها استقلال في معالجة كتاب (أوضح التفاسير) وبرز في عناوينها الكلام على هذا التفسير بصورة مباشرة، وجاء البحث من خلال النظر في قواعد المعلومات المختلفة والمواقع على الشبكة العنكبوتية.

خاتمة:

عالجنا الحديث فيما سبق عن (أوضح التفاسير)، فبينّا جانباً من سيرة مؤلّفه، وذكرنا طبعاته، وسبب تأليفه، وكذلك حاولنا بيان ملامح اشتغاله التفسيري، وبيان طبيعة تصنيفه ضمن خارطة تصنيفات التفاسير، وقد اجتهدنا أيضاً في رصد الدراسات والأعمال العلمية حوله.

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ونبيّه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.